لكي لا نوقظ الفتنة

هل كان صدام حسين يمثل أهل السنة؟ وهل رأى أهل السنة في صدام قائدهم الملهم؟.. هل كان صدام حسين خلال سنوات حكمه، يطبق الشريعة الإسلامية من منظور أهل السنة؟ وهل ان بطشه نأى عن أهل السنة وانصب على الاخرين فقط؟.. هذه الأسئلة تتصل بأخرى تتعلق بقنبلة الفتنة الموقوتة التي تسعى جهات ما لزرعها داخل بنياتنا الاجتماعي كي يحيق الخراب بالعمران والنفوس وكي يبدأ فصل آخر من فصول الدم والعذاب في عراقنا الجريح

أن رهان العراقيين، الآن، ليس في اخفاء الأسئلة المحرجة والحادة، بل في طرحها ومواجهتها، ومبدأ الشفافية والمكاشفة وحده الذي يضمن الابتداء بالخطوة الصحيحة، في الاتجاه الصحيح. ولذا حملنا أسئلتنا وهواجسنا هذه الى علماء وشخصيات من أهل السنة لنستجلي آراءهم في هذه القضية الشائكة؟

علماء السنة يدعون إلى وحدة الصف ويعلنون: صدام لا يمثلنا

بعقوبة/المدى

كان لقاؤنا الأول مع الشيخ نوري هادي زيدان الصميدعي عضو هيئة العلماء المسلمين في ديالى الذي قال:

"لم يكن صدام حسين يمثل السنة أو الشيعة.. كان يمثل حزب البعث وهذا الحزب علماني طبق أفكاره على أهل هذا البلد. أما الذي يمثل أهل السنة فهو الذي يهتدي بكتاب الله والسنة النبوية ويحكم بهما، لكننا نرى أن للماسونية العالمية دوراً في إنكاء جذوة الخلاف بين السنة والشيعة وإحداث الفرقة بينهما وتصوير أن أهل السنة كانوا في نعيم والشيعة في جحيم.. في الحقيقة أن الحالة كانت مخيمة على الجميع سنة وشيعة. بل أن صدام كان يكرم من علماء الشيعة أكثر مما يكرم من علماء السنة. وهنا في ديالى أعطى لأحد علماء الشيعة أكثر من ثلاث سيارات ولم يعط أية سيارة لأي عالم من علماء السنة. كما أن كثير أمن علماء السنة وشبابها أودعوا في السجون، وبعضهم مات فيها. وفي الآونة الأخيرة أوقفوا (18) من علماء السنة عن العمل في المساجد (إمامة الناس والقاء خطبة الجمعة)، ومنهم الشيخ عز الدين والشيخ نجم الدين والشيخ حسن والشيخ عبد الكريم... هذا ما نقوله عن صدام ونظامه وحزبه.. وهذا شأن كل حزب له بداية وله نهاية...".

وكان لقاؤنا الثاني مع الشيخ شهاب أحمد البدري عضو هيئة العلماء المسلمين في ديالى حيث قال:

"إن ما جرى ويجري في العراق أخطاء كبيرة قام بها طغاة مجرمون أنوا الأمة الإسلامية وعلى وجه الخصوص أنوا العراق بما وصل إليه من الفتن والمحن والاحتلال..

نحن أهل السنة والجماعة ضد الطائفية والعنصرية، ومن واجب كل مسلم غيور أن يدافع عن دينه ويحب وطنه لأن حب الوطن من الإيمان كما أخبرنا الصادق الأمين محمد (صلى الله عليه وسلم) ونحن نقول لأخواننا الشيعة ان الذين ناصروا صدام وطبلوا له وأوصلوه إلى نسب أهل البيت هم ثلة قليلة من الشيعة ومن السنة.. وإن البطش والاعتقال والإعدامات والتشريد وترك البلاد إنما انصب على السنة والشيعة معا... إذن للحصلة هي أن صدام ومن حوله كانوا يقسون على أهل السنة، ولم يكونوا يمثلون السنة، والأمثلة على ذلك كثيرة.. أعدم الشيخ عبد العزيز البدري سنة (1969) ووضع في السجن مئات العلماء، والشباب حكم عليهم بالسجن المؤبد، وحكم عليهم بالإعدام.. وعلى كبير أعدله أعداء الإنسانية والشعوب - أعداء العراق - كي يشعلوا الفتنة بين السنة والشيعة.. ونحن نهيب بشعبنا المظلوم من السنة والشيعة.. من العرب والأكراد وبقية الأقليات.. التطلع إلى العدل والحرية والمساواة أن يكونوا صفا واحدا ويدا واحدة ضد الأعداء.. فالصراع الداخلي لن ينفع إلا أولئك الأعداء". أما الشيخ عبد الستار جبار إبراهيم الدليمي إمام وخطيب جامع الخلفاء الراشدين في العبارة وعضو هيئة علماء المسلمين في ديالى فقال: "يقول الله سبحانه وتعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)، ويقول النبي محمد (ص) (من أراد أن يشق وحدة هذه الأمة فاضربوه بالسيف كائنا من يكون).. من هذا المنطلق نستطيع القول أن أي إنسان يثير النعرات الطائفية لابد أن يكون مدسوسا من قبل اليهود والمسونية. والله سبحانه وتعالى عندما أرسل النبي (ص) أرسله إلى الناس كافة فهو نبي الإسلام وليس نبي مذهب من المذاهب.. وعلى علماء المسلمين سنة وشيعة أن يدركوا الحقيقة وهي أن هناك أيادي خفية تحاول تمزيق هذا البلد.. وهذه مسؤولية حملها الله سبحانه وتعالى العلماء.. فالعلماء ورثة الأنبياء والمسؤولية الملقاة على عاتقهم هي أن يوحدوا الصف الإسلامي على اختلاف مذاهبه ومشاربه كي يتجاوز عراقنا الجريح المحتل هذه الفتنة". وفي مقر الحزب الإسلامي العراقي / مركز ديالى كان لقاؤنا الأخير مع الشيخ الدكتور حسين عبد مجيد الأستاذ في قسم الشريعة كلية العلوم الإسلامية ومسؤول قسم الإعلام في الركز والذي أجاب عن تساؤلاتنا قائلا: "حقيقة أن نظام صدام الدكتاتوري قضى على أية شخصية في الساحة سواء كانت سنية أو شيعة ولم يعط دورا لأي أحد غيره، ولم يكن يسمح حتى للبعثيين بالبروز" نحن نرفض أن يكون صدام ممثلنا، ونرفض أن نربط أنفسنا بطاغوت مثل صدام والتاريخ لا يرحم.. ومثال لحجاج وسعيد بن جبير معروف في التاريخ.. نرفض صداما فهو لم يمثل إلا نفسه.. لم يمثل الا شهواته ورغباته، ونقطة ضعفه روحه التسلطية حتى على أقرب المقربين إليه.. أما بالنسبة لموضوع الطائفية فنقول إن الفتنة نائمة وملعون من يوقظها.. إذا حدثت أية مجازر لاسمح الله فلن تتمخض الا عن خسارة الطرفين ونتائج الحرب الأهلية في لبنان معروفة، وعقلاء السنة والشيعة يعون هذا الأمر، وقد أعلنا أننا ضد صدام وما يقوم به هو وأتباعه.. ونحن مع الإسلام ومع الديمقراطية كتجربة بعد سنوات الاضطهاد، وينبغي أن يختار المسلمون من يمثلهم.. نرفض الفتنة ونعرف أن وراءها تصرفات وجهات.. تصرفات جهلة في الطائفتين.. جهلة لا يفهمون الإسلام بشكله الصحيح، وتصرفات قوات الاحتلال في بعض المناطق.. كان الخطأ هو تشكيل مجلس الحكم على أساس طائفي فتمت الطائفية، وكذلك في المجالس البلدية، وفي الأقضية والنواحي، ولم يعط لكل طائفة حقها.. بعض الجهات تقف أيضا وراء تنامي الفتنة.. بعضها أجنبي لا يريد استقرار هذا البلد وليس هذا من مصلحتها.. إن استقرار العراق خطر على أمن إسرائيل لأن قوة إسلامية ستبرز وتؤثر، والوساد داخلة لأن لا حواجز أمامها وهي تدفع نحو الطائفة. وكذلك هناك مرضى نفوس يغريهم المال فيعملون القتل والتخريب، وكذلك مخابرات بعض دول الجوار التي تفكر بمنطق أخذ الثأر.. وفي الآونة الأخيرة كانت هناك اغتيالات لكفاءات علمية سنية وشيعية، فهناك جهات تحرك خيوط اللعبة باتجاه الفتنة الطائفية، وعلينا أن ننتبه. وعقلاء السنة والشيعة والأحزاب الإسلامية الشيعية والسنية واعون لهذا ويريدون استقرار هذا البلد".

رسالة من قارئ

هل تخاف (المدى) من الدبابات الامريكية؟

وصلتنا رسالة من الدكتور محمود الجنابي (الجمعية الوطنية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق) معلقا فيها على واحدة من افتتاحيات (المدى)، ولان الرسالة قرأت هذه الافتتاحية على نحو تعسفي، ننشرها هنا عملا بحرية النشر وتعدد الآراء، لكننا آثرنا ان نرد عليها.

السادة في هيئة التحرير المحترمون تحية طيبة..

كان المقال واقعيا جدا عن علاقة اسرائيل في اعاقة التطور الديمقراطي في المنطقة العربية، وقبل ان اكمل المقال كنت اتساءل وافتخر كيف تستطيع جريدة عراقية في زمن الاحتلال الامريكي ان تكتب بهذه الجرأة وهذه الصراحة خاصة وان الصحيفة ذات اتجاه تقدمي معروف. قبل ان اكمل هذا التساؤل مع نفسي فوجئت بالمقطع الاخير الذي يبدأ بعبارة "يؤمن الامريكيون اليوم ان الاوان قد آن لنشر الديمقراطية في العالم العربي...". مما سبب لي احباطا كبيرا وهنا اود ان تساءل: لماذا انحرف المقال عن اتجاهه العام فجأة في المقطع الاخير. هل السبب الديمقراطية الامريكية السلطة على رؤوسنا؟ لقد ذكرني هذا ببعض الافلام المصرية التي تعرض بالانتقاد لسياسة لحكومة في مجال من المجالات ثم قبيل نهاية الفلم يظهر احد الوزراء او الرئيس المصري في الفيلم.

وبذلك نأسف لمشاهدتنا الفيلم مثلما اسفنا لقراءة المقال.

المؤسف في الامر ان المقال بقلم هيئة التحرير التي تعرف اكثر من غيرها بحقائق الديمقراطية الامريكية: مداهمة بيوت العراقيين وهم نيام دون احترام للحرمات، طرح المواطنين ارضا والدوس على رؤوسهم بالباطيل الامريكية من دون توجيه اي تهم واقتيادهم الى اماكن مجهولة وعدم السماح بمواجهتهم او توكيل محامي للدفاع عنهم، اطلاق النار العشوائي كاجراء انتقامي من الابرياء عند تعرضهم لاي هجوم. لقد داهموا مقر اتحاد نقابات العمال بعشر مدرعات واعتقال ثمانية من ملاك الاتحاد بعد تكبيل ايديهم على الطريقة الامريكية في العراق" وتدمير ممتلكات الاتحاد وزجاج النوافذ وتلطيخ اللافتة التي تحمل اسم الاتحاد بالصبغ الاسود ومرة اخرى دون توجيه اي تهمة.

انني اتساءل: هل فعلا ان هيئة التحرير تصدق ان الامريكان يؤمنون الآن بالديمقراطية في الوطن العربي. ام انها حركت المقال لتتحاشى مدرعات الديمقراطية الامريكية ولتتجنب تكرار ما حصل لاتحاد نقابات العمال الذين لا يملكون سلاحا ولا حتى جريدة ليفضحوا من خلالها جرائم امريكا وانتهاكاتها لحقوق الانسان في لحرية والديمقراطية والسلام.

مع خالص تقديري

د.طه محمود الجنابي

لجمعية الوطنية للدفاع عن حقوق الانسان في العراق.

الرد

لا نعرف كيف قرأ الدكتور طه لجنابي المقال الافتتاحي الذي يشير اليه، فبينما يحيي، على نحو جرأتنا وصراحتنا، في تشخيص الدور الإسرائيلي في إعاقة التطور الديمقراطي في المنطقة، وهو ما نؤمن به حقاً، نراه يصاب بخيبة أمل من جملة واحدة وردت في المقال من دون أن يشير أو يفهم ما جاء بعدها، وهي للعلم جملة اعتراضية. ثم إنه يقود خيبة أمله ليستنتج إننا حرفنا المقال لنتحاشى مدرعات الديمقراطية الأمريكية (كذا!) واقع لحال إننا صدمنا من هذه القراءة، ونعتقد إنها توقفت عن العمل بعد هذه الجملة مباشرة، أو أن الدكتور الجنابي أرادنا الإجهاز على الأمريكيين بجملة واحدة مباشرة كأننا نطلق النار. لكن ما الإمكانية أن يكون الدكتور الجنابي قد قرأ الافتتاحية وهو يحمل الشكوك مسبقاً بنياتنا، فإذا به يحصل على الجملة التي يريدها حجة علينا، وتوقف عندها ولم يتحرك؟

نظن أن من حقنا أن نسأل هذا السؤال، ولا سيما أن الافتتاحية كانت واضحة جداً من البداية، وحتى النهاية، وهي لم تخش لوم الأمريكان ولا دباباتهم، كما لم تخشى حلفاءهم من الإسرائيليين وغيرهم.

لندقق قليلاً في المقالة، لقد أزعجت الدكتور هذه الجملة: (يؤمن الأمريكيون اليوم أن الأوان قد آن لنشر الديمقراطية في العالم العربي..) لكن هذه الجملة التي من الممكن تغيير فعلها الإبتدائي بمثل (يرى) أو (يدعي) لم تأت اعتباطاً بل هي مستندة إلى تصريحات الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته، هذا ما توصل إليه الأمريكان حقيقة أو ادعاء، بعد أن أسهموا بنحر الديمقراطية في العالم العربي طوال أكثر من نصف قرن.

إنه كلامهم إذن وليس كلامنا، وهي دعاواهم وليس ما نراه فعلاً، لكن كيف تسنى للدكتور أن يعبر الجملة الاعتراضية التي تأتي بعد هذه الجملة مباشرة وتبدأ هكذا (ولكنهم). إن جملتنا الاعتراضية جاءت مشبعة بالدلالة: (... ولكنهم لا يقدمون التحليل الكافي والمقنع لعشرات السنين التي واصلوا فيها دعم الأنظمة الدكتاتورية والثيوقراطية ومن دون إشارة إلى دعمهم للممارسات الفاشية لدولة إسرائيل التي أشاعت العنف والتعصب في المنطقة).

أليست هذه الجملة تشكك بدعاوى الإدارة الأمريكية؟ أليست واضحة بما يكفي القول إننا لا نخاف من دباباتهم في قول الحقيقة بصراحة ووضوح؟ الإفتتاحية تنتهي بهذه الجملة التي تحمل مطالبناالى حدها الأدنى: (إن حل القضية الفلسطينية ولجم الجنون الإسرائيلي والصراحة والوضوح تعد علامات على جدية السعي الأمريكي... وإلا كيف نصدق؟!).

نحن لا نصدق إذن، إلا على أساس اشتراطات أساسية، وأولها لجم حلفائهم في إسرائيل وإعطاء حقوقنا المغتصبة.

جانب مما ينبغي أن يقال في صدام حسين

محاكمة الوجه الدموي وثقافة الاستبداد والإقصاء

أحمد يعقوب /فلسطين

الجماهير الفلسطينية والعربية تعيش صدمة حقيقية اثر اعتقال صدام حسين، فالشعوب العربية ومنها العراقي قد نصبت منه بطلا قوميا، ووضعت عليه وزر طموحاتها، وامانيها في التحرر والاستقلال والوحدة والاشتراكية. وهذه شعارات تتطابق مع مطالب الغالبية الساحقة من جماهير الأمة العربية. وبخاصة بعد وفاة جمال عبد الناصر، وتدمير بيروت عاصمة الثورة العربية. لم تكن الجماهير مخطئة في ذلك، ففي أمس الحاجة الى من يخرجها من واقعها المأساوي المرير على الصعيدين الوطني والقومي. فالجماهير التي تشبه جمهور لعبة ملاكمة أو كرة قدم تطالب البطل بأن يذهب بالبطولة الى أقصى درجاتها، لهذا من حقها ان تصاب بالدهشة والحيرة والاحباط، اثر منظر الهيئة الذي أخرج به صدام على جماهيره مستسلما، ويمتثل لطبيب امريكي يفتش في رأسه وأسنانه، ويأمره ان يضغط اسفل فكيه، كي يأخذ منه اللعاب لفحص حامض د.ن.ايه DNA.

أما ملابسات هذا الاستسلام المريع فليست واضحة بعد، وفرضية ان يكون قد خدر يمكن اخذها بالحسبان وهناك من يتكلم عن صفقة ما.. لكن القضية الأهم هي الوشاية الأكيدة عن مخبئه الذي رأيناه في التلفزيون، والذي يستحيل اكتشافه بمحض الصدفة، انما بوشاية. وهذه يجب ان تكون قد صدرت عن احدهم، أي القريبين جدا جدا.. وهذا ما سنتحدث عنه لاحقا، لكننا سنحاول بهدوء وموضوعية ان نناقش حقيقة صدام حسين.. وهل كان بطلا قوميا فعلا؟ وبخاصة أنني عشت في العراق لأكثر من ثلاث عشرة سنة منخرطا بالوسط الثقافي والاعلامي العراقي.. وللحديث عن صدام حسين سأتحي جانبا كل ما يوحي بمقولة "سقطت البقرة وكثرت السكاكين"، وكذلك نظريات المؤامرة والمعلومات التي صدرت مؤخرا عن علاقة صدام برامسفيلد منذ بداية الستينيات عندما كان صدام منفيا في القاهرة!! وسنحي جانبا ما ينسب الى جمال عبد الناصر والمخابرات المصرية انه "اذا أضعت صدام في القاهرة فستجده في السفارة البريطانية أو الامريكية".

وانا لا اريد ان استند الى هذه المعلومات لأنني لا اريد ان أوغل بالشعور بالمهانة، وبأن الحكام العرب ليسوا اكثر من دمى صنعتها ورتبتها أجهزة الاستخبارات الغربية.. فأريد ان احتفظ بشيء من الطيبة الشعبية وربما بالسذاجة؟؟ لهذا سأفترض ان صدام حسين كان من مواطنا عراقيا صالحا.. جاء من عائلة فقيرة كما هو معروف.. ولقد وقع في طفولته تحت تأثيرات كبيرة وحاسمة لآراء خاله الذي تولى تربيته بعد وفاة والده، ومن نصائح خاله المعروفة ووصاياه لصدام ان لا يتسامح مع ثلاث: الشيوعية والفرس واليهود.. وسنفترض ان صدام قد عمل بنصائح وتوجيهات قومية- دينية صادرة عن خاله الضابط القومي الملتزم فرسم حياته السياسية على وفق هذه الوصايا الثلاث، لأن مسار فعله السياسي لا حقا، ومن موقع رئيس جمهورية انصب بهذه الاتجاهات الثلاثة.. وسنفترض انه التحق بصفوف حزب الشام والعراق بطروحاته في الوحدة والحرية والاشتراكية وقضية فلسطين.. وهو يتباهى بأنه تصدى للأفكار اليسارية التي حاول لجناح السوري طرحها في المؤتمر القومي لحزب البعث في 1961 فاحتسب نفسه على لجناح اليميني للحزب.. وسأفترض انه تحت تأثير الأفكار القومية البعثية و رغبته في محاربة الشيوعية قام صدام بمحاولة اغتيال عبد الكريم قاسم الذي تحالف مع الشيوعيين العراقيين، وبهذا يكون صدام قد وضع قدمه في عالم السياسة في العراق مبتدئا ذلك بمحاربة الشيوعيين ولو عبر محاولة قتل شخصية و ان فشلت.. وسأفترض ان صدام كان مخلصا في انتمائه الى الترث العربي والاسلامي و من زاوية النظور و الرؤية التي فتحها له خاله "خير الله طلفاح".. و ان كان صدام قد أخرج للعراقيين شجرة نسبه العائلي التي قال فيها: "إن أصوله تعود الى علي بن ابي طالب عليه السلام"، فإننا نسأل هل تأثر صدام بالامام علي الزاهد الناديء باحتقاق الحق و العدالة و المعرفة؟؟ والذي حارب تكنيز الذهب و الفضة حتى أنه حرم تسخير الدواب من غير أجر وقد أكلت حبال البئر من يدي زوجته فاطمة وهي تخرج الماء يوميا!! أم انه تشبه - صدام- بمعاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد في حكم العراق و الدولة الأموية وسنفترض انه تشبه بالخليفة عمر بن الخطاب الذي أطلق عليه تسمية "المتبدد العادل"!! وسأفترض ان صدام كان مولعا بخالد بن الوليد وكيف استبسل في حروب الردة و القضاء على المعارضة الأولى في الدولة الاسلامية البكر!! مع ان التاريخ يذكر ان الرسول محمد (ص) لم يقمع الذين ابتدأوا ردتهم ابان حياة الرسول.. وسنفترض ان صدام حسين قد قرأ تجربة الحجاج في توحيد الدولة الأموية التي قام من خلالها بقصف مكة بالمنجنيق وتقطيع رؤوس خصومه من آل الزبير و الخوارج وغيرهم.. (كان تلفزيون قطر قد قدم الحجاج في مسلسل رمضاني ذكرنا جميعا بالتاريخ الدموي للحجاج، لكنه قدمه كسيف بني أمية صانع الانتصارات و الفتوحات الاسلامية في الشرق و الغرب، من الصين الى الاندلس).. وسنفترض أنه تشبه بصلاح الدين الأيوبي الذي ولد في نفس الدينة التي ولد صدام في أحدى قراها.. وباطلالة سريعة على تاريخ صلاح الدين الأيوبي الذي انطبع في وجدان العرب و المسلمين كبطل و أسطورة تاريخية نجد ان صلاح الدين عندما وصل الى سدة الحكم في الدولة الأيوبية فان أول اجراء قام به هو توحيد المذهب الديني في عموم أمصار الدولة وبتحويل مذهب المصريين في ليلة وضحاها من احدى فرق الشيعة الى المذهب السلفي السني فنقل لذلك ألوف رجال الدين السنة من بلاد الشام ونصبهم في مصر كدعاة و علماء وفقهاء يوحدون المذهب بقوة السيف ولذلك قام بقتل الفقيه العالم السهروردي.. وسأفترض إن صدام قد درس تجربة محمد علي باشا!! التي قيل الكثير وكتب الكثير مدحا لها، وبحيث أن الاركيين مثلا اعتبروها تجربة اشتراكية رائدة، وان الليبراليين اعتبروها نموذجا للنهضة المطلوبة، بل إن أحد الباحثين اعتبرها "أول محاولة في التاريخ الحديث لإعادة تكوين الدولة العربية في الشرق و الغرب"، وإلى درجة أن أحد العلماء العرب، قد طالب مؤخرا بالاحتفال في عام 2005 بمرور مئتي سنة على بدء مشروع النهضة أو بدء حكم محمد علي.

وسأفترض أيضا أن صدام درس هذه التجربة وكذلك تجربة جمال عبد الناصر وغيرها من التجارب كتجربة هتلر وستالين وديغول و تيتو وتشاوسيسكو.. مع ان هتلر انتحر وتشاوسيسكو بدأ في محاكمته متماسكا قويا حتى لحظة اعدامه وبينما قال أبو علي ياد: "نموت واقفين ولن نركع"!! وقال تشي غيفارا الجندي الذي اعتقله: " اطلق أيها الجبان "!!، فلقد صرح الجندي الأمريكي الذي اعتقل صدام ان الأخير قال له: " لا تطلق!! أنا صدام حسين رئيس الجمهورية العراقية وعندي استعداد للتفاوض".. وكي أخرج من دائرة الافتراضات، فانني أجزم أن صدام حسين قد قدم نفسه كزعيم قومي وعمل من أجل ذلك بعد وفاة جمال عبد الناصر وما يعنيه ذلك من غياب للزعيم القومي على الساحة العربية والدولية.

وان كان صدام قد نجح في كسب الشارع العربي لكنه خسر الشارع العراقي وماذا تفعل اذا خسرت شعبك وربحت العالم؟ وهنا تكمن المأساة!! ولو كان صدام قد ربح الشعب العراقي لكان اليوم في موقع آخر وبهيئة أخرى غير التي ظهر فيها على الفضائيات.. فالعراق يعتبر فسيفساء بالغة التعقيد من حيث نسيجه التعددي في الديانات والمذاهب والأعراق والملل والنحل ويمكن اعتباره نموذجا مصغرا عن الوطن العربي الكبير.. ولو استطاع صدام فعلا حكم الشعب العراقي لكان نجح في ان يكون زعيما قوميا لكنه خسر نفسه وشعبه وبلده العظيم.. نعم فالعراق عظيم بشعبه ومنجزاته التاريخية منذ ما قبل التاريخ الى يومنا هذا. والخصوصية التي اتصف بها الشعب العراقي على مر العصور بانه متمرد واسماه الحجاج بـ"النفاق" وصدام بـ"الغوغاء"!!، إلا لأن الشعب العراقي يمتلك فلسفة ورأيا فيما يخص شؤون حياته ويطالب أي حاكم ان يأخذ ذلك بعين الاعتبار فهم صعاب الراس ولا يساقون كالخراف لأنهم خلقوا لحكمة والقانون والجيوش والأدب والفنون منذ كلكامش وحمورابي ولهذا دفعوا حياتهم غالية ورخيصة على مذابح احترام كلمة الشعب التي لا يسمعها الحاكم العربي ومنهم صدام حسين.. ففي نهاية الحرب العراقية الايرانية سادت النكتة الشعبية السوداء حول تلك الحرب المأساوية. وهنا نذكر واحدة منها بطلها جندي عراقي يعود الى أهله يحمل سبعتين من النخيل ويضع حذاءه العسكري على عنقه، فيسأله أهله ما هذا فيجيب: هذه سعفة نخل تبجيلا وتخليدا للذي صنع القادسية الاولى، وهذه سعفة نخل ثانية تبجيلا وتكريما للذي صنع القادسية الثانية فسألوه: وماذا عن البسطال رأس من يفكر بقادسية ثالثة!! وهذا ما حدث فعلا فلقد ذهب الشعب العراقي مع صدام حسين إلى أبعد الحدود وخاض الحرب العراقية الايرانية بشراسة وببسالة، لكنهم عندما بدأت الحرب مع الكويت وهم لم يداووا اجراح حرب السنوات الثماني رفعوا صوتهم وقالوا رأيهم وتمردوا على صدام حسين وسياسته التي لم تأخذ جرح الشعب بعين الاعتبار. مع انهم خاضوا الحرب طوال 54 يوما. وتحدوا ايام الجوع والحرمان لأكثر من 10 سنوات وهم اصحاب الخير والنعم وعندما يقال في اللهجة الفلسطينية: "لا تتبغدد!!"، فهذا يعني لا تسلك سلوك البغداديين في الكبرياء والأنفة، ولقد تحملوا القمع والاستبداد والعقاب الجماعي، وبرغم ذلك خاضوا الحرب الأخيرة في 2003، ولم يستسلموا حتى سقوط النظام.. وهذا ما لا يدركه بعض المحللين والمراقبين الذين يكيلون الاتهامات الى الشعب العراقي بانه لم يلتف حول قائده أو القائد العربي القومي أو أنه ارتمى باحضان امريكا!!. في حين ان الشعب العراقي بشخصيته الجمعية التاريخية لا يتحمل قيادة أخرى ليست عراقية!!

ان صدام حسين والقيادة العراقية السابقة مطالبون بتقديم حساب للشعب العراقي وللأمة العربية عن سياساتهم الداخلية والخارجية طوال اكثر من ثلاثين عاما. فان مصارحة الشعوب العربية ومناقشتها في السراء والضراء ليست من تقاليد وقيم النظام السياسي العربي برمته والعراقي بشكل خاص!! كان على صدام ان يتحاور مع شعبه ويستمع له ويأخذ برؤيته لأمور الحياة والسياسة.. لا أن يفعل ذلك الان تحت تأثير القوة الامريكية.. وهنا لابد من القول: ان امريكا ليست القوة الهيأة دوليا لتكون قاضيا ومحاميا وشرطيا دوليا نزيها فاذا كان بوش قد صرح في 2003/12/17، "ان صدام حسين كانت لديه غرف للتعذيب ولاغتصاب النساء وكان يعذب معارضيه ويقتلهم". فهل هذا لا يفعله شارون وكل من تناوب على الحكم في اسرائيل؟ أم لا تفعل ذلك معظم الأنظمة العربية البائسة التي ابتلتنا بها اجهزة الاستخبارات الغربية وبالمقدمة منها الامريكية؟! فامريكا ليس من حقها ان تحاكم صدام حسين الا اذا كانت تعتبره احد رعاياها!! وبخاصة ان صحيفة نيويورك تايمز قد ذكرت في 13 آب 1990، اثناء احتلال العراق للكويت بـ"ان العراق بلغ ذروته في القوة بموافقة امريكا وبمساعدتها، ويشمل هذا تجارة مزدهرة في الحبوب مع المزارعين الأمريكيين، والتعاون مع الاستخبارات في الولايات المتحدة، وبيع النفط من الصافي الأمريكية الأمر الذي ساعد على تمويل قوة العراق العسكرية، واخفات صوت البيت الابيض في انتقاد انتهاكاته لحقوق الانسان وارتكابه الفظائع في الحرب". ومنذ 1982 أصبح العراق واحداً من اكبر المشترين للرز الأمريكي، "حتى انه اشترى ما قيمته زهاء خمسة بلايين ونصف البليون دولار من الحاصلات الزراعية والحبوب بقروض مضمونة من الحكومة واعانات زراعية وبمبالغ نقدية منه".

وتسلم العراق مبلغ 270 مليون دولار على شكل إئتمانات مضمونة من الحكومة لشراء سلع امريكية اخرى برغم تخلفه عن دفع الديون وتبين ارقام البيانات لسنة 1987 أن أكثر من 40 بالمائة من غذاء العراق كان قد استورد من الولايات المتحدة كما تسلم العراق في سنة 1989 ضمانات قروض بمبلغ مليار دولار ولم تتسلم دولة اكثر من ذلك الا الكسيك ويقول تشارلز غلاس: "ان الولايات المتحدة اصبحت السوق الرئيسة للنفط العراقي: "في وقت أخذت منظمة يتصدرها رجال اعمال امريكيون بارزون ودبلوماسيون سابقين تمتدح اعمال صدام حسين وسيره نحو الديمقراطية". ولم تحرك حكومتا ريغان وبوش (الاب) ساكنا حين ابتاع العراق طائرات مروحية امريكية وحولها الى الاستخدام العسكري فنكث بذلك وعوده وحين استعمل الغازات السامة ضد القوات الايرانية وضد مواطنيه الاكراد وهجر نصف مليون كردي واشوري بالقوة وغير ذلك من الفظائع" (انظر نعوم تشومسكي الولايات المتحدة والديمقراطية اعاقة الديمقراطية ص 224-225).

كل هذا بالطبع لأن صدام كان يخدم سياستها الاستراتيجية ضد الاتحاد السوفياتي وضد ايران تماما، وهذا ما تفعله اليوم مع مجاهدي افغانستان الذين تربوا وترعرعوا على ايدي السي أي ايه لمحاربة الاتحاد السوفياتي في افغانستان واليوم تطاردهم باعتبارهم ارهابا..

ان أي محاكمة لصدام حسين يجب ان تكون من قبل الشعب العراقي وكل الديمقراطيين والثوريين العرب بوصفها محاكمة للوجه الدموي في التاريخ العربي والاسلامي، ومحاكمة لثقافة الاستبداد والالغاء والاقصاء، ويجب ان تكون محاكمة للنظام الرسمي العربي الذي هو نسخة مكررة ممجوجة عن صدام حسين هذا النظام الذي ارست دعائمه امريكا وبريطانيا وفرنسا واسرائيل. الذين يجب اجلاسهم في القفص المجاور لصدام..